

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي-مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

Women and the problem of building a digital identity in the virtual space A sociocultural approach to building the digital identity of Algerian women

حنان حاجي^{1*}، مصطفى ثابت²

¹ مخبر جودة البرامج في التربية الخاصة والتعليم المكيف، جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)،
layallbook@gmail.com

² جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)، Drtabetmostafa@gmail.com

تاريخ القبول: 2022/03/29

تاريخ الإرسال: 2021/10/11

ملخص:

تحاول هذه الورقة البحثية عرض قدرات الفضاءات الافتراضية الجديدة في احتضان الفئات المهمشة من منظور المخيال الاجتماعي العربي وخاصة المرأة العربية، وإمكانية تجاوز الإقصاء الذي تعانيه عبر تلك الفضاءات كونها تدرج عادة في خانة الطبقة الدونية مقارنة بالرجل بالمفهوم الكلاسيكي الهيرماسي الذي تقوم شروطه على النقاش العقلاني، والاحتكام للمساطر الحجاجية والحقوق التواصلية المتساوية للفاعلين الاجتماعيين، وذلك من خلال ربطها بالدراسات المتعلقة بطبيعة العلاقة بين بناء الهوية الرقمية للمستخدم والقيم والمبادئ الثقافية للمجتمع العربي، وخاصة الفئات الهامشية على غرار المرأة الجزائرية المستخدمة للفيديو في ظل أفقين نظريين، الأول احتفائي بالمخرجات التقنية، والثاني متوجس من المعطى السيوسوثقافي، لتؤكد هذه الدراسة النظرية في الأخير أن استخدام المرأة الجزائرية للفضاءات الافتراضية خاصة الفيسبوك لا يخرج عن السياقات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، فالعلاقة التي تربط المرأة الجزائرية بالوسائط الجديدة بكافة وسائلها ومكوناتها هي علاقة ديناميكية، بحيث يقيد استخدامها وفقا لاحتياجاتها ومتطلباتها وسياقاتها الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: هوية رقمية؛ فضاء افتراضي؛ هوية ثقافية؛ مخيال؛ وسائط جديدة.

Abstract

This research paper attempts to present the capabilities of the new virtual spaces in embracing marginalized groups from the perspective of the Arab social imagination, especially the Arab woman, and the possibility of overcoming the exclusion that they suffer through these spaces, as they are usually included in the category of the inferior class compared to the man in the classical hebermasian concept whose conditions are based on rational discussion, and appeal The argumentative myths and the equal communicative rights of social actors, by linking them to studies related to the nature of the relationship between building the user's digital identity and the cultural values and principles of the Arab community, especially marginal groups such as the Algerian women who use Facebook in light of two theoretical horizons, the first is a celebration of technical outputs, and the second is suspicious of the given Sisi and cultural, to finally confirm this theoretical study that Algerian women's use of virtual spaces, especially Facebook, does not depart from the social and cultural contexts of society.

Keywords :digital identity; virtual space; Cultural Identity; imagination; new media.

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

1- مقدمة

لقد أدى ظهور الجيل الثاني للإنترنت إلى تغيير ملامح البيئة الاتصالية عبر وسائطه الاتصالية الجديدة المحملة بميكانيزمات تواصلية تجاوزت هرمية الاتصال المبني على أحادية مصدر الرسالة ومركزية حارس البوابة. وتأسست بذلك بيئة جديدة مبنية على التفاعلية كسمة أساسية تطبع نشاطات المستخدمين الذين تحولوا من مجرد متصفح لمواقع شبكة الانترنت إلى منتجين لمضامين يتبادلونها في مواقع خاصة، ويعبرون من خلالها عن عوالمهم الذاتية والاجتماعية ويتناقشون عبرها في مختلف القضايا التي تشغلهم.

فالمحتفيين بتكنولوجيا الجيل الثاني للإنترنت استخدموا أدواتها لتفعيل آليات الديمقراطية من خلال توسيع فرص الأفراد في الحصول على المعلومات والبيانات، والتعبير عن آراءهم بدون تلك القيود التي تفرضها النظم السياسية والإعلامية، وتضمن لهم الدخول المنصف للمجال العام دون إقصاء أي فئة أو جماعة.

فاستطاعت أدوات التشبيك الاجتماعي بما تمتلكه من خصائص تقنية ووفرة اتصالية ابتكار نمط جديد من الاتصال والتواصل التفاعل، والتشارك وإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والمنظومات الرمزية السوسيوثقافية التي هيكلت البناء الاجتماعي للدول الانتقالية ضمن سياق مجتمع افتراضي، حيث تجاوز الحدود الجغرافية والزمانية متيحاً للمستخدمين إمكانية بناء فضاءات تشاركية تداولية يتقاسمون فيها المكان والزمان، الأفكار والمعلومات حول ما يهمهم من قضايا اجتماعية، اقتصادية، سياسية وثقافية بعيداً عن أي إكراهات (المكانة الاجتماعية، النوع الاجتماعي)، والتي اعتبرها بعض الباحثين الفضاءات الأمثل لتجسيد المجال العام، فيما رآها البعض الآخر فضاء بديلاً للفئات الاجتماعية المهمشة وخاصة المرأة التي قيدها المجال العام الفيزيقي عملياً، وأغفلها المجال العام الهرمسي نظرياً.

لذا فقد وجدت المرأة الجزائرية في صفحات موقع الفيسبوك ومختلف شبكات التواصل الاجتماعي المنفذ الرمزي والبديل الذي سمح لها بالخوض في تجارب اتصالية جديدة مكنتها من الولوج إلى فضاءات النقاش العام كذات اجتماعية فاعلة تناقش قضايا الاهتمام العامة، وترافع عن مواقفها إلى جانب الرجل منتزعة بذلك حق الاعتراف بها، ومتخطية الصور النمطية المترتبة حول الترتيبات الجندرية التي سوقت لها كثيراً الميديا التقليدية، ومن هنا تأتي هذه الدراسة في إطار التعريف بالهوية الرقمية للمرأة الجزائرية وتستهدف تحديداً الإجابة على التساؤلات التالية:

- كيف تستخدم المرأة الفضاءات الافتراضية والميديا الجديدة للتعبير عن ذاتها؟
- ما المقصود ببناء الهوية الرقمية للمرأة بالجزائر؟
- هل استطاعت الفضاءات الافتراضية احتضان الفئات المهمشة من منظور المخيال الاجتماعي العربي وخاصة المرأة الجزائرية؟
- ما طبيعة العلاقة بين بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية والقيم والأسس الثقافية للمجتمع الجزائري؟
- وكون هذه الورقة البحثية تقوم على تحليلات وصفية نظرية فإنها سعت لتحقيق عدة أهداف أهمها:
- الوقوف على مكونات هوية المرأة الجزائرية وأسسها السوسيوثقافية.
- توضيح العلاقة بين هوية مستخدمى شبكات التواصل الاجتماعي والفضاءات الافتراضية والسياق السوسيوثقافي لذلك الاستخدام.
- تبيان الدور الذي تلعبه الفضاءات الافتراضية لمساعدة المرأة الجزائرية في إبراز ذاتها وهويتها.
- مقارنة واقع هوية المرأة الجزائرية في الفضاءات الافتراضية بخلفيتها السوسيوثقافي للمجتمع الجزائري.
- وصف طبيعة العلاقة بين بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية والقيم والمبادئ الثقافية للمجتمع الجزائري.

2- مدخل مفاهيمي للنوع الاجتماعي

إن الاهتمام العلمي بمفهوم الجندر كمفهوم علمي وكأداة لتحليل الواقع الاجتماعي لم يتبلور بشكل بارز إلا مع العقدين الأخيرين من الألفية الثانية، ولكن ظهور مفهوم النوع سبق هذه الفترة بكثير إلا أن استخدامه على نطاق واسع قد شاع تحديدا عقب مؤتمر "بيكين" سنة 1995، حيث تجاوز استعماله منذ ذلك التاريخ حدود ساحات العلوم الإنسانية والاجتماعية نحو مجالات التنمية وحقولها المختلفة (Margaret, 2001, p. 178)، وتحيل عملية البحث في مفهوم النوع الاجتماعي إلى جذعين ركزيين له ينغرسان بعمق في أبرز نتائج الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية لاسيما مدرسة (الثقافة والشخصية المنحدرة منها) ومن بعض دراسات علماء النفس الأمريكيان (Justin, 2012, p. 90)*.

* مارغريت ميد باحثة أمريكية تنتمي للمدرسة الوظيفية في علم الاجتماع حيث قامت سنة 1935 بدراسة حول الشخصية الثقافية لثلاثة قبائل من غينيا الجديدة، وهي الأرايش والموندوغومور والتمبولي بحيث توصلت الى أن: كيف النساء عند قبيلة الشيمولي أنهن المهيمنات على الرجال فالمرأة هي التي تزرع وهي التي تحصد وهي التي تصطاد

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

ويمكن عموماً القول إن المفهوم ظهر في بداياته لدى النسويات الأمريكيات اللواتي أردن من خلاله لفت نظر المختصين إلى معطى (البعد الاجتماعي) في محصلة الفوارق بين الجنسين. كان استعمال لفظ (النوع) من قبلهن إشهاراً لرفض التحديد البيولوجي الضمني الذي يتخفى وراء عبارات (الجنس) أو (الفوارق بين الجنسين) وهو بذلك تأكيد على أهمية الطابع العلائقي الكامن منذ البداية وراء بناء هوية كل من الرجل والمرأة وتشكيله (Justin, 2012, p. 90)، كما يمكن اعتباره في نفس الوقت ثورة هادئة ضد الدراسات النسوية التي كانت تقتصر على دراسة المرأة بشكل منفصل ومنكفئ عليها، دون النظر لها في ضوء ما يجمعها من علاقات وروابط بالجنس الآخر (Gianna, 1998, p. 75)

ولكن أولى محاولات الضبط العلمي لمفهوم النوع تمت عبر عالمة الاجتماع النسوية "آن أو كلي" التي صرحت بأن (الجنس) يمثل مفردة تشير إلى الفوارق البيولوجية بين الذكر والأنثى، في حين تحمل لفظة (النوع) -على العكس من ذلك- إحالة إلى الثقافة وإن هذه الأخيرة تشمل على حد تعبيرها «التصنيف الاجتماعي للذكوري والأنثوي، وعلينا تبين الإقرار بثبات الجنس مثلما علينا اعتبار تغير النوع»، وهكذا أصبحت قضايا النوع الاجتماعي أكثر ارتباطاً بالمكانة والدور الاجتماعي للمرأة والرجل في الوقت الذي ظل الجنس مؤشراً يحيل إلى الفروق البيولوجية بين الذكور والإناث، ويحمل مفهوم النوع في دلالاته الإجرائية إشارة للخصائص والصفات المرتبطة بالجنس كما تترجم عنها وتفرضها ثقافة المجتمع وقنواته الخاصة بالتنشئة (Martinson & Susan C, 2004, p. 54)

3- النوع الاجتماعي والمخيال العربي الجزائري

كثيراً ما تختلط كلمة المخيال بالتصور والمخيال وغيرها من المفاهيم التي تحمل معاني مشتركة كالوعي واللاوعي الإيديولوجيا وغيرها، إلا أننا نتناول المخيال الاجتماعي في هذه الدراسة على أنه مجمل التصورات وأشكال الوعي التي يبنمها الفاعلين الاجتماعيين في إطار مجتمع محدد

وهي التي تبارز، وهي التي تجلب قوت يوم العائلة، أما الرجل فهو يهتم عادة بالفن ويتحلى بالبرقة واللفظ والحنان وتراه يعطي أهمية بالغة للاحتفال والتجمل إلى حد التخثت ويميل إلى البقاء في البيت والسهر على تربية الأطفال، وفي المقابل تتميز المرأة مثلما يتميز الرجل عند الأرايش بالدفاء والحنان والجنوح إلى السلم وحب الآخرين، في حين تتميز النساء كما يتميز الرجال على حد سواء عند قبيلة المونوغامور بالعنف والشدة والعدوانية والمكر والدهاء والحذر من الآخرين.

بنسق رمزي وثقافي خاص به، وهو الآلية التي يستعيد بها الأفراد ذواتهم التاريخية بهدف إنتاجها وإعادة بنائها في صورة جديدة قد تظهر في سلوكياتهم الحاضرة أو توقعاتهم المستقبلية.

وإذا سلمنا بأن الفضاء العام داخل المجتمعات العربية الأبوية بحسب المخيال الاجتماعي هو فضاء عبور وتملك بالنسبة للرجل، أما المرأة فإن مكانها الطبيعي والمقدس في منظور المجتمع ومنظور التمثلات الاجتماعية هو البيت، هذا الواقع المتميز ساهم في تشكله مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية بداية من التنشئة الاجتماعية (محمد، 1994، صفحة 74)

وضمن هذا المسار تعمل مؤسسات التنشئة الأخرى كالإعلام وجماعة الرفاق إضافة إلى مؤسسة اللغة على رسم أدوار كل من الرجل والمرأة، وتظل المرأة في المرتبة الدونية مقارنة بشريكها الرجل بالرغم من نضالها الواسع تحت راية الحركات النسوية المتحررة، فليس من العدل أن يكون الفضاء العام مجالاً ذكورياً تكون المرأة فيه ضحية لأساليب متعددة من التهميش والدونية وهدفاً للمقاومات المادية والرمزية (التالية وحقصة، 2020، صفحة 64)

ولمعرفة كيفية تطور هذا المخيال الجزائري لا بد من تشخيصه انطلاقاً من محددات الهوية وعناصرها الأساسية من الأسرة، الدين، اللغة، الثقافة، الأزياء، التاريخ، التركيبة السيكولوجية ونزعة التقديس.

1) الأسرة الجزائرية:

إن البحث عن خصائص أي مجتمع يقتضي دراسة النواة الأساسية لتكوينه ألا وهي الأسرة فهو الكل المركب لسماتها والذي يعكس صفاتها، فالأسرة هي المؤسسة الأولى للتنشئة الاجتماعية تتشكل فيها شخصية الفرد أين يتلقى فيها الإرتين البيولوجي والثقافي فتكون بذلك أساساً لقيام أخلاقه، قيمه وخبراته بل وحتى تسهم في تدريبه وتلقيه مهارات إشباع حاجياته المادية والمعنوية بطريقة تسير فيها المعايير الاجتماعية والقيم الخلقية والدينية لها ومن خلال مختلف تلك الدراسات التي عنيت بموضوع الأسرة الجزائرية يمكن إيجاز خصائصها فيما يلي: (عبد المالك، 1972، صفحة 95)

أ- أنها أسرة موسعة حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجية تحت سقف واحد (الدار الكبرى) عند الحضرو (الخيمة الكبرى) عند البدو، إذ نجد من 20 إلى 60 شخصاً يعيشون سوياً وهو ما يسمى بالأسرة الممتدة.

ب- هي أسرة بطريقه الأب أو الجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية، وينظم فيها التسيير التراث الجماعي، وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ وغالباً بنظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية.

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

ت- هي عائلة أكنتيه النسب، وأنها جماعة عصبية، الذكور فيها يملكون ويرثون ويمثلون السلطة، بهم تنشأ الأسرة وإلهم تنتهي كل ما يتعلق بها من تنظيم أو تسيير أو قرار، وانتماء المرأة (الأم) يبقى لأبيها، وينتقل الميراث من الأب إلى الابن الأكبر عادة(عبد المالك، 1972، صفحة 95)

ث- التمايزات الاجتماعية والأدوار المختلفة لكل من الرجل والمرأة هي اختلافات طبيعية لا تتغير، وأن الفروق البيولوجية هي المحدد الوحيد لتلك الأدوار؛ فهذه التمايزات تضمنت أفكار وقيم فيما يخص الذكر والأنثى، وساهمت في تكوين صورة نمطية لمواقف وسلوكيات كليهما، فالمجتمع الجزائري في صورته التقليدية عمل على تحديد أدوار كلا الجنسين بنوع من الإلزامية، فمجرد ميلاد الفرد وتجلي جنسه تكون الأدوار المنوطة به قد حددت فهو لا يستطيع بذلك تغييرها أو الخروج عنها، فمهمة المرأة مثلا لا تتجاوز الإنجاب والقيام بمختلف أشغال البيت والرجل بذلك لا يستطيع مشاركة المرأة في أدوارها فهو يعمل جاهدا على توفير القوت وتأمين المسكن (مالك ، 1995، صفحة 94)

ج- عرف المجتمع الجزائري بعض التغييرات طرأت على نظم بناءه تجلت أساسا في التغيير الوظيفي لدور المرأة ومشاركتها أدوار الرجل، فالمرأة اليوم نجدها فاعلة في مختلف الساحات كالسياسة والأمن والتعليم، وهي بالأمس القريب كانت بمعزل عن هكذا أدوار، فانفتاح المرأة على العالم الخارجي ومشاركتها أدوار الرجل بات واضحا لا يمكن إنكاره؛ لكن هذا التحول الوظيفي لا يعني ضعفا في أداء الأسرة أو المؤسسة المجتمعية بقدر ما هو مرحلة تطويرية من شأنها أن تزيد من تمدن وتحضر المجتمع، فتمكين المرأة وتفعيل دورها في المجتمع بات ضروريا لكل مجتمع يطمح لتحقيق مفهوم التنمية الشاملة والاستخدام الأمثل لموارده البشرية(مالك ، 1995، صفحة 94)

ح- كل ما يتنافى مع الدين وفطرة الخالق يرفضه أي مجتمع مسلم محافظ وهو شأن المجتمع الجزائري فهو في نظرته لدور الجنسين لا ينكر الفطرة التي خلق الله عليها الإنسان، ومركز على تلك العقيدة التي تؤمن بأن الله خلق ابن آدم من زوجين اثنين آدم وحواء جزء من الثنائية المتناغمة في هذا الكون، والتي يحقق بها التوازن الثبات والأعمار، فهذه حقيقة أقرها الله في شريعته وأنزلها على أنبيائه الذين علموها لبني البشر قال عز وجل:(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ)(سورة النساء، الآية 32)، فبنية المجتمع الجزائري كما أشير إليه سابقا قائمة في تكوينها على النظام الأبوي، بحيث تفرض على أبنائها الالتزام بأدوار محددة تمارس تبعا لنوع الجنس، وتنشئهم على قيم الامتثال والطاعة والابتعاد عن كل صور التمرد، وبالتالي يتحدد دور المرأة أو جنس الأنثى في مرتبة أدنى من مرتبة الذكر على السلم الاجتماعي،

ويستطيع من خلالها الذكر امتلاك قوة اجتماعية يمارسها على المرأة(التالية و حفصة، 2020،
صفحة 81)

(2) الدين:

الدين أو التدين سمة متأصلة في النفس الإنسانية مثلها مثل باقي الغرائز، ولا يمكن التعامل معه إلا وفق هذه النظرة، وبذلك يكون له أثر مهم في النفس البشرية نظرا للفترات الطويلة التي ارتبط فيها التفكير الإنساني بالدين، فمن الثابت تاريخيا أن فكرة التدين لم تفارق البشرية، ولم تحل منها أمة من الأمم القديمة والحديثة لأنها نزعة أصيلة ملازمة للناس جميعا(محمد حميد، 2011، صفحة 94)

إن التعامل مع الدين بهذا التصور، واعتباره نظام يوجه الفرد ويقنن أفعاله يؤكد بأن الدين الإسلامي يتميز بتأثيره القوي والمباشر في توجيه سلوك الفرد، وتنظيم علاقات الجماعة فيما بينها وفيما بينها وبين الآخر، وبالتالي يمكن القول أن الدين الإسلامي يمتلك حصة الأسد من بين عناصر تشكل الهوية العربية بصفة عامة(مالك ، 1995، صفحة 103)

لهذا فخاصية تقبل المجتمع الجزائري للدين الإسلامي، واحتضانه والتشبث به منذ الأجيال الأولى التي عاصرت فتوحات طارق بن زياد وعقبة بن نافع إلى درجة أصبح يمثل فيها عنوانا مهما لهويته، فلم تكن قضيته اصطناعية أو ملفقة بقدر ما كانت تمثل نسيجاً عضويًا ارتبط ببناء هوية هذا المجتمع، حيث قال عبد الملك مرتاض أن الشعب الجزائري استهوتته روحيته، ولأهمه طابع حياته الجماعية، وشرطه الروحي التنظيمي التلقائي، فضلا عن جوهره الديمقراطي الذي يتجسد في التشارك الفعلي اليومي في العبادات، وفي القيم والمزايا، التي تفاعلت معها الروح الجماعية بعمق إذ وجدت فيها ما كان يطبع النفسية البربرية من نزوع إلى الحرية وعدم الخضوع، إلى جانب ذلك يمكن التماس هذه الخصوصية في مظاهر أخرى، والمتمثلة في العادات والتقاليد البربرية التي ارتبطت وتداخلت مع الشعائر الدينية وأصبحت بدع مثل تقديس الأولياء(سمية ، 2010/2009،
صفحة 81)

(3) اللغة:

يمكن القول بكل بساطة أن اللغة تحظى بأهمية بالغة، وتعد من بين الركائز الأساسية لمفهوم الهوية، فقد نعتقد في سداجة أن اللغة ماهي إلا وسيط للتواصل والخاطب غير أن اللغة تقوم بأدوار أهم من ذلك بكثير، فحسب رأي الشريف كرمة الذي يذهب في قوله: "إن اللغة فكر ووجدان وإرادة، تتجلى في المهارات وتؤدي وظائف التفكير والتعبير والتواصل"(الشريف، 2010،
صفحة 74)

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

لهذا يمكن القول بأن الشعب الجزائري متعدد اللغات، شأنه في ذلك شأن جميع الشعوب المستعمرة، غير أننا نجد على المستوى الرسمي قد اعتمدت على اللغة الأمازيغية كلغة وطنية منذ فترة وجيزة، وهي ضعيفة الانتشار وسط مجموع السكان مقارنة باللغة العربية التي تعد اللغة الرسمية للشعب الجزائري بحسب دستور الأمة، فهي لغة الإدارة، ولغة الإبداع والكتابة، ولغة التخاطب في دوائر كثيرة، إلا أنه لا يجب أن نهمل اللهجة العامية التي باتت تشكل تداولاً واسعاً في الأوساط الاجتماعية، وأمام هذه الإشكالية المطروحة على مستوى ازدواجية اللغة نحاول أن نجد حلاً وسطياً باعتبار أن هذه اللهجة العامية نابعة من اللغة العربية بالرغم من بعض المفردات التي تسربت إليها من اللغات الأجنبية كالفرنسية والإسبانية والتركية نظراً لاحتكاك السكان بهذه الأقوام في فترة معينة، وكذا بعض المفردات التي حولها النطق المحلي عن أصلها، غير أننا نجد أن غالبية المفردات ذات أصل عربي، بهذا يمكن تجاوز هذا الخلاف والقول بأن الشعب الجزائري يتواصل فيما بينه من خلال لهجة عربية غير فصيحة ولكنها عربية أو سليلة اللغة العربية، وهذا ما أكده عبد المالك مرتاض بقوله أن الجزائريين حين أدركوا مدلول الإسلام، وتشبعوا بمبادئه العالية تعلموا العربية لأنها لغة القرآن والحديث، أي لغة الدين الإسلامي الجديد، وما لبثت هذه اللغة أن انتشرت بالجزائر حتى أصبحت مع مرور أربعة عشر قرناً من حياة الإسلام (مالك ، 1995 ، صفحة 67)

4) الثقافة:

تتشابه الثقافة مع عدة مصطلحات من بينها العلم والمعرفة، حيث أعطى المفكر مالك بن نبي تعريفاً لكل واحدة منها لكلا تتداخل مع مفهوم الثقافة بقوله: {إن العلم يعطي المعرفة، إنه يعطي اللباقة والمهارة، وفقاً للمستوى الاجتماعي الذي يتم عليه البحث العلمي، والعلم يعطي امتلاك القيم التي تولد الأشياء، والثقافة تعطي العلم، إنها تعطي السلوك والغنى الذاتي الذي يتواجد على كل مستويات المجتمع، والثقافة تعطي امتلاك القيم الإنسانية التي تحقق الحضارة، الحضارة والعلم ليسا مترادفتين} (مالك ، 1995 ، صفحة 54)

فالثقافة "هي ذلك الكل المركب المتجانس من العقائد والقيم والأفكار والمعايير والرموز والتغيرات والإبداعات وأنماط العيش التي تشكل قوام الحياة لمجتمع ما، وبالتالي هي ذات الأمة وأداتها في التعرف على العالم والتعامل معه" (زمير سعد، 2008/2007 ، صفحة 68)

ويمكن أن نحصد ثقافة الشعب الجزائري بداية من الإنتاج الفني كالزخارف على الزربية، والخزف أو الفلكلور والرقصات الشعبية، والأهازيج التي تحاكي مظاهر الحياة الاجتماعية في الحرب والسلم، وكذلك ما يميز الثقافة الجزائرية هو الحرص على اتباع العادات واحترام تقاليد القومية

مما حصن الشخصية الجزائرية وحفظها من الاضمحلال أو الضعف، كما تميزوا بالشرف والرفعة والكرم ومراعاة المدح والثناء والوفاء والثبات في الشدائد والتجافي عن الانتقام وبر الكبير وتوقير أهل العلم(مالك ، 1995، صفحة 67)

5) الأزياء:

إن الزي التقليدي جزء لا يتجزأ من تراث الأمة الجزائرية، وهو مظهر من مظاهر الهوية الجماعية للأمة، حيث أضاف عنصر الأزياء الباحث محمد حميد صواف بقوله: "تشكل الأزياء واللغة بالإضافة إلى بعض السلوكيات هوية أصلية للكثير من الأقوام التي ترفض التخلي عنها رغم انتفاء الحاجة لها، وتصبح كتراث قومي لبعض المجتمعات تسعى في ديمومته والتمايز به عن الآخر"(محمد حميد، 2011، صفحة 54)

وقد تميز الجزائريون بجملة من الأزياء عرفوا بها عبر التاريخ، وعبرت في ذات الوقت عن خصوصيتهم وأصالتهم، نذكر منها: الخفاف السراويل، العمائم في قول يوسف بن قرية: "خفاف بسيطة وسراويل فوقها البرانس، وجباب أو الجبة أو القندورة من الصوف واستعملوا، بالإضافة إلى ذلك أغطية الرأس مثل العمائم وكذلك المناديل، كما هو معروف لباس صوفي من صوف يغطي الرأس ويتدلى على الكتفين والظهر وليس ببعيد يكون هذا المنديل بمثابة عمامة أو زنارا يتمنطقون به، كما يستشف من التاريخ أن لبس الجبة كان من الصوف، فهذا الباس البسيط بشكل خاص في مدينة تاهرت حاضرة الدولة الرستمية، أما البرنس فقد اشتهر حتى تسمت به القبائل فيما يرويه المؤرخون من وجود قبائل البرانس وقبائل البتر في خضم تعرضهم للمنطقة"(صالح يوسف، 2011، صفحة 56)

6) التاريخ:

التاريخ هو حلقة وصل لجميع عناصر الهوية، وبهذا فليس التاريخ مجرد وقائع تروى وأحداث تسرد بل هو سريان للماضي في الحاضر وبما يعنيه من الوعي بالإطار الثقافي لهذا التاريخ، وهو يكرس الانتماء إلى الأمة، ويكون للتاريخ مفعوله من خلال ممارسة هذا التأثير في حاضر الأمة في مجال الحفاظ على هويتها من الانحلال والاندثار، فلا يمكن أن نستثني هذه العلاقة بين التاريخ والهوية، والتاريخ في الجزائر كان له أثر واضح في حفظ الشخصية الجزائرية وتعميق أصالتها(مالك ، 1995، صفحة 152)

وتاريخ المنطقة الجزائرية يحدد خصوصية هذا الشعب عن غيره من الشعوب، وذلك لاختلاف تاريخ منطقة الشمال الافريقي والجزائر على الخصوص عن تاريخ غيرها من الشعوب،

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

فالتراث الحضاري الذي يشكل وجدان الجماعة في هذه البيئة الجغرافية يختلف عنه في البيئات الأخرى من خلال الحضارات التي استوطنت المنطقة كحضارة الفينيقيين، الرمان، البيزنطيين والوندال على مر تاريخ المنطقة، يضاف إليه التراث العربي الإسلامي، وهذه الحضارات التي يحتفظ بها سجل الأمة تختلف عن غيرها من الشعوب، وبذلك تكون شخصية وهوية جزائرية ذات خصوصية ما لخصوصية تاريخها.

(7) التركيبة السيكولوجية:

تميز الشخصية البربرية والجزائرية على وجه الخصوص بالطبيعة التحررية والنزعة الثورية، أي المقاومة والتمرد، فالمقاومة لدليل على عدم تكافئ القوى المتصارعة، وبالتالي فحتى وإن خمدت هذه المقاومة فسرعان ما يتمرد القوم على السلطة المهيمنة لتعل فتيل المقاومة من جديد، وذلك ما لاحظناه إبان الثورة التحريرية في الحقبة الاستعمارية، وعدد المقاومات التي تنهض من حين إلى آخر، وكذلك صفة التقلبية نظرا للظروف التي فرضت على هذه الأمة، فالتقلبية أي يبدي التعاون ثم ينقضه، وما قد رواه المؤرخون أن البربر قد ارتدوا اثني عشر مرة إبان الفتوحات الإسلامية، وهذا تأكيداً لهذه السمة (مالك ، 1995، صفحة 154)

ومواصلة في رصد ملامح الهوية الجزائرية وما انعكس منها على شخصية الأفراد نجد عبد الله محمد يشير إلى سمتين أساسيتين بقوله: "فمن خلال الحياء والشرف تتحدد نظرة كل مغربي إلى العالم وتجعل سلوكه الفردي منسجما تماما مع المطلب الجمعي، وبالتالي فهو حين يبدي استحياءه للغير في الغالب يسعى لتجنب لوم الجماعة، بالإضافة الى سمات أخرى ثانوية مثل التعاون، عزة النفس، الانفة، التدين، المحافظة على السمعة، الاستماتة في الدفاع عن الشرف والتمسك بالأصول" (مالك ، 1995، صفحة 154)

(8) نزعة التقديس:

مجمال الدراسات التي أجريت تؤكد أن هذه النزعة موجودة بالشخصية البربرية بالشكل الذي تبدو فيه كسمة بارزة طبعت على هذه الشخصية، فالشيء المشترك في أبحاث هؤلاء العلماء هو أن الشخصية في المجتمع المغربي تبدو مشبعة بمجموعة من المعتقدات الغيبية التي يعتبرونها فوق الطبيعة ولا عقلانية لأنها ترتبط في تقديرهم بعالم المقدس المهم، هذه المعتقدات التي تطبع الثقافة والهوية وتشترط كثيرا من السلوكيات تشمل على ما يعرف منذ ابن خلدون بالسحر والطلسمات، وعالم الجن والاستحواذ، وكذلك ما يسمى بالعين الشريرة، ومن هنا فإن المخيلة الجماعية تبدو مصبوغة بتصورات تتعلق بكائنات غيبية تربطها بالشخص المغربي إما علاقات

ودية وتقارب، وإما علاقات تخاصم وتنافر، فمثلا يدل قبر الرومية التاريخي* بمظهره الهرمي على نزعة تقديس الموتى التي اعتنقها المجتمع البربري منذ القديم، ولا يستبعد أنها من تأثيرات الحضارة الفرعونية التي انتهت إلى البربر واعتمدها أو حملوها قيما، فقد كانت الثقافة الإسلامية بما مزجها من معتقدات خارجة عن نطاق الإسلام تدفع العامة ومن لا وعي له بالدين، وهو ما عمق الوازع الغيبي في النفسية الجزائرية(شابحة، 2008، صفحة 26)

في نهاية هذا العنصر لا بأس أن نسلط الضوء حول نظرة الشخصية الجزائرية للمرأة، وطبيعة المكانة التي تحتلها، وعند الحديث عن المرأة في البيئة الجزائرية نجد أن هذه المفردة تزاحمها العديد من المفردات الأخرى مثل "الحرمة، الولية"، وكل منها يحمل مفهوما خاصا يوضحه لنا لطفي عيسى بالقول أن مفهوم الحرمة أضحي يحيل إلى المرأة والعقلية التي كانت ظروف التغالب والغزو والاستبداد تستوجب صيانتها على نحو ما تصان النفائس من المجوهرات والأعلاق الثمينة، ومن ثم أصبح ينظر للمرأة بمفهوم الحرمة وتبعاً لذلك يترتب سلوك الرجل اتجاهها التي يستوجب صيانتها نحو ما تصان النفائس، غير أن السلوك الذي يعتمده الرجل لصيانتها قد يكون صحيحا وقد يكون خاطئا، قد يكون مرنا وقد يكون خشنا عنيفا، وكل ذلك مبررا بالنسبة للرجل لأنه ينطلق من مبدأ هذه الحرمة والحرص عليها"(عيسى، 1994، صفحة 63)

إن هذا الحرص عليها لدليل على المكانة التي تحتلها المرأة في تصوره، وما تحمله من رمزية بالنسبة له، فقد كانت سيكولوجية المجتمع البربري محكومة بقيم لا تبعد عما كان المجتمع العربي الأمر الذي صبغ الذهنية والقيم الثقافية والأخلاقية بصبغة واحدة قوامها الغيرة على العرض، وصون المرأة وحمايتها حماية النفائس والإعزاز، والدود عن الشرف الذي هو جماع القيم المحلية على الرجولة والقوامة.

أما المفهوم الثاني أي "الولية" على الأنثى حين تعدم الراعي والكفيل، أو هو يحيل إلى تلك الأنثى التي لها على الرجال حق الرعاية والأخذ باليد، إلا أن هذه الذهنية تراجعت بمرور الوقت بفضل ما عاشه الشعب الجزائري من انتكاسات وصراعات عبر التاريخ وما انجر عنه من محن، فمن المرحلة التي كان يعدد فيها المجتمع البربري بنسائه ورجاله بالشكل الذي كرم فيه امرأة تقوده في حربه وسلامه، ها نحن نلمس هذه الذهنية تتراجع وتتحول لتنظر للمرأة نظرة الكائن الضعيف، فكلمة رجل في البيئة الجزائرية أضحت كلمة فوقية تمارس جق الوطاء على نحو ما يمارسه الرجل

* قبر الرومية هو القبر الملكي الموريتاني يسميه سكان منطقة تيبازة-المدينة التي تحضنه - بقبر الرومية.

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

مع المرأة بلا معارضة، وحين تعلق كلمة المرأة فإنها حتما تعرب عن شذوذ لا تقبله البيئة، ويكون الرجل قد تقهقر إلى وضع من المعرة لا يطاق (احمد ، 2013/2012، صفحة 74)

هذه إذا سمة أخرى من سمات الذهنية الجزائرية التي قننت طبيعة العلاقة ما بين المرأة والرجل، وأي خرق لهذه العلاقة يعتبر وضعاً غير سوي من طرف الجماعة التي حددت للمرأة أن تقف في الصف الخلفي وراء الرجل، وأي بروز فهو وضع غير سوي وفيه خدش لشرف الرجل ورجولته، وتبعاً لهذه النظرة فقد ظلت المعايير الاجتماعية تعتبر كل امرأة تقبل على بعض المبتدعات مثل التدخين، امرأة شاذة منبوذة وفعلتها مستنكرة لأن المرأة في أعين المجتمع المغربي تمثل حامي حيا القيم (احمد ، 2013/2012، صفحة 74)

وقد استقطبت الهوية الرقمية الأنظار إليها بطريقة مكثفة لعدد العوامل المرتبطة بمواقع التواصل الاجتماعي وقدرتها على خلق سياقات اجتماعية وثقافية جديدة، وبناء أنماط غير مألوفة في العلاقات الاجتماعية وما تبعها من تمظهرات هوياتية فردية وجماعية، ولهذا تهدف هذه الدراسة لتبيان كيفية تشكل هذه الهوية الرقمية وكيف يتم الترويج لها عبر مواقع التواصل الاجتماعي والسياقات الثقافية التي تنطوي عليها، والتعرف إن كان الفايبروك يساهم في تحقيق العدالة الجندرية، والعدالة الجندرية هنا ليس من باب الدعوة إلى أن يكون الجنسان متماثلين، وإنما تعني الدعوة إلى إزالة المفاضلة بينهما حتى لو كان الجنسان مختلفين في أدوارهما وصفاتهما لكي لا يفهم الموضوع بشكل خاطئ.

4- الفضاء السيبري والسياق الثقافي للمستخدمين

تشير عديد الدراسات في هذا السياق إلى سيطرة مواقع التواصل الاجتماعي على الجماهير من خلال عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم ودياناتهم والقوانين والوسائل الإعلامية والثقافية التي تحكمهم، وقد يستمد من الأفراد السياقات الاقتصادية والسياسية والثقافية سواء كانت محلية أو قومية أو إقليمية أو دولية، ولكي نفهم أهمية مواقع التواصل الاجتماعي يجب أن نضعها في النظريات السياسية والديمقراطية التي وفرت سندا نظريا وفكريا لهويتها وممارساتها، ويتطلب ذلك مراجعة بعض المقاربات على مستويات عدة يلتزم بعضها بالجوانب المتعلقة بالتطورات التكنولوجية، وبعضها الآخر يتعلق بالموضوع من جانب الدراسات الاجتماعية (جزار، 2013، صفحة 53)

فالإعلام الجديد منتج لثقافة اتصالية بديلة، وعادة ما يكون في تعارض مع ما هو سائد، ويقع بين مفترق مناهج نظرية متداخلة مما يجعله يعاني من طابعه المهمش خارج السياق الاجتماعي

وخصوصيته في كونه بديلا عن النظام الإعلامي القائم، ومع اتساع العوالم الافتراضية وتزايدها يوميا، وما يصاحب ذلك من طفرات في استخدام وسائل اتصال جديدة ومتطورة تيسر استخدام الشبكة في كل لحظة مثل أجهزة أيفون وأيباد وجالاكسي وغيرها، وهو ما يعني تزايدا مطردا في معدل استخدام وسائط الاتصال بين الأفراد في أرجاء العالم، بينما ما يحدث في الواقع هو المزيد من حالات سوء التفاهم بدءا من ارتفاع معدلات الطلاق في المجتمعات العربية وارتفاع حدة التوتر الطائفي وخصوصا في العالم الثالث، وصولا لسوء التفاهم المستمر بين الحضارات في الشرق ونظيرتها في الغرب، فهل يمكن لهذا الاتساع في السعي البشري نحو التواصل أن يسد فجوة سوء الفهم؟ أم أن وسائل التواصل الاجتماعي من شأنها أن تزيد من عزلة الفرد يوما بعد يوم، بحيث تصبح أداة الاتصال غاية في حد ذاتها، وبهذا لن يكون أمام الفرد في النهاية إلا السعي إلى التفاهم المثالي (عبد الله حسين، 2016)

وتعد مواقع التواصل الاجتماعي وسيلة من وسائل التعرف على عدد كبير من الأشخاص تحول بين التقائهم في الواقع ظروف عدة تبدأ من ظروف وطبيعة العمل أو البعد الجغرافي، أو التواجد في بيئة ثقافية تختلف عن الذهنيات الثقافية التي ينتمي إليها الفرد ما يضطره للبحث عن طرف مماثل عبر الفضاء الافتراضي، والحقيقة أن مثل هذه المواقع بقدر ما توفره من فرص افتراضية لعلاقات واقعية حقيقية لكنها قد تواجه بعض العقبات الثقافية التي تنشأ من اختلاف العلاقة الافتراضية عن العلاقة الحقيقية، فالعلاقة بين شخصين على الانترنت قد لا توفر تعريفا بالشخص وجها لوجه، وبالتالي فهي تفتقد أيضا نقل التأثير الكيميائي للشخصيات التي قد تندمج أو تختلف بناء على اللقاء الشخصي الواقعي، ولكن حتى هذه المشكلات أصبح لها اليوم حلول توفرها كاميرات أجهزة الحاسوب الآلي (ويب كام) التي قد تنتقل بالحوار بين الأطراف المعنية من منطقة الدردشة النصية إلى الحوار بالصوت والصورة، كما ان هذه العلاقات وكل العلاقات الافتراضية في الحقيقة تفرض سؤالا عن مدى التوافق أو الاختلاف بين الشخصية الافتراضية على الانترنت مقابل الواقعية في الواقع الحقيقي التي يكتب بها الاسم الذي يقدم نفسه به، وما يتيح من معلومات شخصية يعبر بها عن هويته الحقيقية هل تمثل هويته الواقعية؟، يفتح هذا السؤال الباب على ما يعرف في العالم الافتراضي بالهوية ذات القناع، وهي هوية مستخدمي الفايبروك خصوصا من يتعاملون بأسماء مستعارة غير حقيقية أو يقدمون معلومات مغلوطة عنهم لانهم شخصيات لا تحظى بالثقة في النفس ولا تستطيع الكشف عن هويتها الحقيقية حتى تستطيع التصرف بشكل اكثر ثقة بالذات، وقد يستخدم البعض الآخر شخصية وهمية لتلافي سرقة هويته

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

الحقيقية أو قد يستعملها لأغراض الجنس، أو لعمل عمليات شراء وبيع الكترونية أو لمجرد تحرر الشخص من قيود تتعلق بهويته الحقيقية، ويجد خلف القناع لونا من ألوان التصرف بحرية(جزار، 2013، صفحة 43)

فكلما كانت المساحة بعيدة بين الواقع والافتراض لاسيما إذا كان الواقع صعبا وقاسيا، فالأمر يقود إلى اعتبار هذه المواقع آلية سيكولوجية للتفريغ وتعويس النقص، وبالتالي يصبح الإبحار في عوالم لا متناهية ومفتوحة شبيهة بوظيفة أحلام اليقظة كألية تعويضية مما عجز عنه الفرد في واقعه، وهذا ما يؤكد كثرة مستخدمي الفايسبوك هم من فئة العاطلين عن العمل أو الباحثون عن عمل، ويكون اللجوء إلى هذه المواقع محكوما بدور وظيفي حيث البحث عن واقع بديل للواقع الفعلي(التالية و حفصة، 2020، صفحة 9)

فالمجتمع الافتراضي يفرض غياب الجسد نفسه في هذا المجتمع مما يخلق إشارات اورموز تعبيرية يوضح بها سكان هذا المجتمع حالاتهم النفسية أو وضع ابتسامات افتراضية أو ملامح يعبرون بها عن حزنهم أو فرحهم، والتي تشكل اليوم لغة عالمية يستخدمها الافراد في غياب الجسد، لكن موضوع الجسد وأهميته وبدائله من جهة أخرى يشير إلى عامل نفسي يتمثل في أهمية إدراك الفرد وجود الآخرين في الواقع الافتراضي، مما قد يفسر الشعور الذي يشعر به من يتعامل مع مواقع التواصل الاجتماعي مثل التويتير الذي يبدو فيه الفرد يتحدث إلى نفسه أكثر كثيرا من التعامل مع مواقع التواصل الأخرى مثل الفايسبوك، وهذا الشعور بالاتصال يزيد من قدرة الفرد في التعبير عن أفكاره أو حالاته المعنوية مما يود التحدث عنه(الرايح، 2007)

5- الحضور النسوي في الفضاء الافتراضي

لقد واجه استخدام تكنولوجيا المعلومات من طرف المرأة تحديات كبيرة وواسعة، وقد تمت في هذا الإطار ومن خلال دراسات الجندر مناقشة مسلمتين أساسيتين بعمق وهما:
. الإنترنت يمثل تنظيما اجتماعيا جديدا للمرأة، وقد تم تغيير أشكاله الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بشكل أساسي.

. الافتراض بأن هذه التغيرات تعتبر نتاجا للتكنولوجيا، ونتيجة لذلك فإن الوضع النسوي الحالي صار في مستوى من النقاش حول التكنولوجيا الجديدة والجندر بهدف الإجابة عما إذا كانت التكنولوجيا تمكن المرأة في موضوع تحررها أو لا.

ومع الموجة النسوية الثالثة، النسوية الجديدة أو السلطة النسوية PowerFeminism التي تم التعبير عنها في التسعينات، تم التوصل بسهولة للنسوية السيبرانية لفئات متنوعة من النساء،

الشابات منهن على وجه الخصوص، وتشير السببرانية النسوية إلى تقدير المرأة للمعلومات وتكنولوجيا الحاسوب على المستويين العلمي والنظري، وقد ركز بعض الباحثين تركيزاً حاسماً على العلاقات الجندرية القوية في التكنولوجيات الرقمية (Mallan K 2009, 9)، فهذه الدراسات تهتم بدراسة الاعتماد المتبادل بين الجندر والتكنولوجيا، وفي المنظور النسوي هناك جانبان متناقضان في معالجة التطورات التكنولوجية، الأول مرتاب من تواجد المرأة في هذا الفضاء والثاني يرحب بها بحماس، والواقع أن المعجيين بالفضاء السببري متحدون في إطار النسوية السببرانية، ويعتمدون على الانترنت كفضاء تتساوى فيه جميع الأصوات وتصبح السلطة فيه خيالية (مريم نريمان 2021، 98)، حيث يجزمون أن التطورات التكنولوجية أثرت في موازنة القوى وساهمت في تمكين المرأة، وهي تستخدم بقوة في إعادة إنتاج التسلسل الهرمي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والجندري، وعلى الرغم من أن النسوية السببرانية تعالج الظروف الاجتماعية الجديدة المعقدة التي أنشأتها التكنولوجيات العالمية، فإنها تتطور أكثر بكثير من مجرد خلق تركيبات جديدة من النظرية النسوية والممارسة (مريم نريمان 2021، 101)، وتماشياً مع الدور الثابت للشبكات الاجتماعية في الحركات النسوية، تمكن التكنولوجيا المرأة من المشاركة بطريقة مجدية حتى يكون لصوتها صدى، ويعتقد عدد من الباحثين أن الانترنت لديه قدرة على إعادة تعريف الأدوار التقليدية للجنسين تماماً، ولا سيما بالنسبة للواتي يتمتعن بمهارات محدودة أو أولئك الذين يفتقرون إلى الموارد للحصول على أعلى مستوى من التعليم (مريم نريمان 2021، 112).

يمكن القول إن شبكة الإنترنت تقدم أشكالاً جديدة من الحياة يقوم خلالها الشخص بإنشاء هويات وإعادة إنشائها، وبالتالي فإن مستخدمي الإنترنت أقل ارتباطاً بالجنس gender-Less عندما يكونون في الفضاء الافتراضي الذي يحررهم من كل القيود ويمكنهم من خلق هويات جديدة. إن صورة المرأة في الإعلام العربي التقليدي هي الصورة النمطية التي نسخها عن الغرب، صورة "الموديل"، وسيلة للجذب الجنسي، وقد التبس الأمر على الكثير من النساء في العالم العربي وتطور لا شعورياً، حتى صارت المرأة هي نفسها من تتبنى وتتقمص الصورة النمطية المعروضة أمامها لتعتبرها نوعاً من أنواع التقدم والرفق الحضري.

لذا يبدو أن الإعلام التقليدي لم يعد يلي التغيرات الاجتماعية التي تطرأ على صورة المرأة العربية النمطية، ليصبح الإعلام الاجتماعي وشبكات الافتراضية المحرك الأقوى في اتجاه هذا التغيير من خلال عدد متزايد من المبادرات والحركات النسوية الساعية لرسم صورة أكثر استقلالية وتحفيزاً من ذي قبل، ولعل قوة الدور القوي الذي بلعبه الإعلام الاجتماعي تكمن في كونه يتيح فرصة حقيقية للمرأة للتعبير عن قضاياها بلغتها والحشد من أجل التعاطي معها، ولتصحيح الكثير

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

من المفاهيم النمطية حول المرأة وانخراطها في الإعلام، ومن ثم أصبح يتحدى طرح وسائل الإعلام التقليدية، بل ويحدد أولويات القضايا التي يتناولها ذلك الطرح، لذلك توجهت المرأة للفضاء الافتراضي لعلها تلغي بذلك تبعات محددات نوعها الاجتماعي.

6- بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية وعلاقته بالخلفية السوسيوثقافية

إن استخدام المرأة العربية للفيسبوك - على غرار المرأة الجزائرية - لا يخرج عن السياقات الاجتماعية والثقافية لمجتمعها، فالعلاقة التي تربط المرأة الجزائرية بتكنولوجيا اتصالية الحديثة بكافة وسائلها ومكوناتها هي علاقة ديناميكية، بحيث يقيد استخدامها وفقا لاحتياجاتها ومتطلباتها وسياقاتها الاجتماعية، وأن معادلات القوة القائمة على النوع المستمدة من العالم الواقعي تعم موقع الفيسبوك وتخيم عليه باستمرار موحية بأن حتى الفضاء السيبري قائم على النوع مثله مثل العالم الواقعي.

والملاحظ لواقع استخدام المرأة الجزائرية للفضاء الافتراضي من خلال شبكات التواصل يدرك توجهها للاندماج في مجموعات نسائية خاصة تتقاسم مع أعضائها الاهتمامات المشتركة حول القضايا المتعلقة بالجانب الاجتماعي من حياتها على غرار المواضيع الخاصة بالجمال، الزينة، الأسرة، الأولاد، الزواج، الخطبة وغيرها، كما توظف المرأة الجزائرية شبكات التواصل الاجتماعي خاصة الفيسبوك من أجل تخفيف ضغوط الحياة والتنفيس عن طريق التنكيت في منشورات تحتوي على مضامين للتسلية والترفيه، إضافة إلى أن الفيسبوك كشف عن عالم المرأة المعنوي المعقد والمختلف عن المرأة الجسد الفاتن ذو الجمال الباهر الذي يتطلع الرجل المستخدم للظفر به والتعرف إليه لتحقيق مآرب عدة، وتلجأ الكثيرات من المستخدمات للعب على هذا الوتر لتكوين أكبر عدد من الأصدقاء.

كما تتضح معالم وعي المرأة الجزائرية بطبيعة المجتمع الذي يتابع نشاطاتها الافتراضية عن كذب لينتقدها في ظل مجموعة من الحجج الاجتماعية والدينية والثقافية، إنها حجج تعكس في أغلبها تمثلات تقليدية للمرأة وأدوارها، تمثلات نمطية للأدوار، أو تبخيس المرأة الناشطة، ويوظف المستخدمون على وجه الخصوص موارد ثقافية تقليدية وموارد ثقافية دينية لتقييم أدوار المرأة، وبالتالي فمن خلال بناء المرأة لهويتها الافتراضية وتمظهرها عبر العالم الافتراضي فهي تدرك تماما أن العديد من الأحكام المستنبطة في ظل الأحكام الدينية التي أنتجتها الفضاءات الرقمية، وفي هذا الإطار فإن أدوار المرأة في النقاش العام حول المضامين المتعلقة بها تبقى محدودة، وتكتفي أحياناً بأشكال محتشمة من المناصرة، رافضة الانخراط في التصدي إلى خطابات التبخيس والعنف التي

تتعرض إليها النساء الناشطات في المجال السياسي والفني والاجتماعي، ويمكن تفسير ضمور هذا الحضور بطبيعة النقاش الذي تحتضنه صفحات الميديا التقليدية على الفايسبوك الذي يتسم بالاتصال العدائي، وبالعنف اللفظي، وباستخدام المشاركين الرجال لأساليب عدوانية في التعبير. ويعتبر "تحديد الجنس أو النوع" المجال الوحيد الذي يحيل إلى السمات الفيزيائية للمستخدم، والتي تربطها بالواقع الفيزيائي، وإن ربط الواقع بالافتراض من خلال هذا المتغير الوحيد وهو الجنس (ذكر أو أنثى) من شأنه أن ينقل معه كل القضايا المتعلقة بالمرأة من الافتراض إلى الواقع سواء فيما يتعلق بالمرأة وتفكيرها وتمثلاتها الذاتية في الواقع أو بالنسبة لنظرة الرجل إليها، فالمتأمل في استخدام المرأة الجزائرية للفيسبوك يجد أنها تكتفي بنشر اسمها وحالتها المدنية وطبيعة نشاطها، وتمتنع عن نشر صورتها الشخصية وسنها، وهذه نسخة عن الواقع الذي يحاكي لمقولة الشهيرة للويس الخامس "لا تسأل المرأة عن عمرها"، فعمر المرأة يبقى شخصيا جدا حتى في الافتراض، وهذا ما يتنافى مع من يعتقدون أن هنالك حدودا فاصلة بين الواقع والافتراض.

كما أن المرأة الجزائرية تبقى متحفظة في التعبير عن هويتها الرقمية إذ لا تعلن بصدق عن واقعها أو عن بعض جوانب شخصيتها التي تعتبر من الجوانب التي ينتظر المجتمع "المراقب" لیتصيدها، ويعلن من خلالها عن خروجها عن المنظومة الاجتماعية والقيمية، وهو ما يفسر إجبارية إضافتها لأفراد العائلة، وبالتالي التمثل لذاتها في حدود البيئة الاجتماعية التي انتقلت لتتشكل افتراضيا، وأنها تستخدم الفضاء الافتراضي في حدود المسموح به اجتماعيا بالرغم من أنها تجيد استخدامه وتدرك أهمية خدماته، وهذا ما يؤكد على أن المرأة تحاول أن تقدم انطبعا معيناً عنها من خلال هويتها الرقمية ولكن ضمن حدود معينة ومعايير تتحكم فيها بنوعية الأصدقاء، وأهداف الاستخدام، ولا تبدو هنا إنسانة فاعلة اجتماعية مستقلة بذاتها تكتسب مشروعية للفعل في المجال العام الافتراضي أو الظهور فيه، فخروجها عن الأدوار النمطية يجعل منها امرأة تهدد النظام القيمي للمجتمع ومصدرا للفوضى الاجتماعية والثقافية.

وكاستنتاج عام يمكن القول أن العالم الافتراضي هو انعكاس لما هو موجود في العالم الواقعي، ومادامت السلطة الأبوية تهيمن على الواقع فهي بالضرورة تنعكس أيضا في الافتراضي، وبالتالي فالمسألة مرتبطة بشكل مباشر بالتنشئة الاجتماعية، فالذهنيات لا تتغير بالمرور من الواقع إلى العالم الافتراضي، والملاحظ على التفاعلات الافتراضية في مجتمعاتنا بإمكانه الكشف بسهولة عن ترسبات الكثير من الممارسات الأبوية والقيمية في هذا الفضاء كتقديم ملاحظات عن لباس المرأة وسلوكها أو الطعن في أهليتها لتقلد مناصب معينة أو حتى معارضة مسائل بسيطة كخروجها للعمل وغير ذلك من المواضيع التي تطرح أيضا في الواقع بمجتمعاتنا.

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي -مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

7- خلاصة

من خلال البحث في موضوع المرأة وإشكالية بناء هويتها الرقمية في الفضاء الافتراضي، وهو الموضوع الذي يطرح بشدة خاصة في العالم العربي لما يميزه من خصوصيات ثقافية تتعارض في عديد الجوانب من استخدام المرأة لتكنولوجيا الاتصال الحديثة وشبكاتهما الافتراضية. حيث اتضح أن المرأة العربية عامة والجزائرية خاصة ومن خلال استخدامها للفضاءات الافتراضية وشبكات التواصل الاجتماعي فإنها تقدم بكل حرية ودون أكرام، فقد تظهر متحررة أو محافظة، وقد تظهر مثيرة ومهمة من خلال انتقائها ومشاركاتها، إلا أن التعمق في بعض الدراسات حول هذا الموضوع يكشف أنه مهما ابتعدت المرأة في هذا العالم الرقمي فهويتها الحقيقية تعيدها إلى مجتمعها، وإلى ما يفرضه عليها سيما إذا كانت تتعامل باسمها الحقيقي، فحلم تكوين هويتها كاملة متحررة من أصناف القيود الاجتماعية والثقافية والقانونية، وحتى التقنية التي يعج بها الواقع الرقمي يصبح صعب المنال، ويزداد الأمر تعقيدا خاصة مع انحسار الفرق بين الهوية الشخصية للمرأة في العالم الحقيقي وبين هويتها الرقمية، فأمام الاستقلال من قيود الزمان والمكان توجد العزلة، وأمام الحرية من الضوابط والقيم الاجتماعية والثقافية يوجد الصراع النفسي بين الهوية الأصلية والهوية الرقمية، فالفضاءات التي تتيحها شبكات التواصل الاجتماعي والفيديو بشكل خاص ليست مجرد أمكنة خيالية، بل هو تمثلا وتموضعا مركبا تتشكل داخله التصورات الرمزية والتفاعلات الاجتماعية، الممارسات الخطابية، المخيلات السوسيوثقافية والطقوس الإثنية.

ورغم المخاطر الواردة والوضعية الصعبة لتشكل الهوية الرقمية للمرأة العربية والجزائرية في الفضاء الافتراضي إلا أن الفرص التي توفرها الرقمنة سيتمخض عنها مفهوم جديد للهوية يتمتع بقدر أكبر من المرونة، فلا ننسى أن الرقمنة هي التي أوضحت الطبيعة المتناقضة لهويتنا، وحقيقة انحرافنا عن المعايير القياسية بطريقة أو بأخرى في وقت مضى، وإن هذا الوضوح شرطا أساسيا لنصبح جزء من مجتمع متسامح، يتسنى لنا فيه الانفتاح والتصرف على طبيعتنا دون الاختباء في الحيز الخاص (الفضاءات الهامشية)، فما عاد علينا إعلان الحروب على التقنية والتفكير في مواجهتها، والمقصود هنا -الهوية الرقمية- ومواجهة الذات بقدر ما يتوجب استغلال إمكاناتها والتكيف معها، وتكوين أنماط للتعايش والصمود في البيئة الرقمية تماما كما الحال بالنسبة للبيئة الحقيقية أو الطبيعية.

قائمة المراجع

أولا : باللغة العربية

- الصادق الرابع. (2007). الأنترنت كفضاء مستحدث لتشكيل الذات، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام.
- الصواف محمد حميد. (2011). عادات الشعوب والتمسك بالتراث لديمومة الهوية. تم الاسترداد من www.annaba.org
- أوشن سمية . (2010/2009). دور المجتمع المدني في بناء الأمن الهوياتي في العالم العربي. دراسة حالة الجزائر. إشراف: رابح بلعيد. صفحة مذكرة ماجستير في العلوم السياسية منشورة، جامعة باتنة.
- بذاك شابحة. (2008). الممارسات السحرية للمجتمع الامازيغي. الجزائر: منشورات دار السعادة.
- بن قرية صالح يوسف. (2011). مقدمة لدراسة الملابس المغربية. الاندلسية في العصر الاسلامي من خلال المصادر التاريخية والأثرية. تم الاسترداد من تاريخ الاسترداد 09 23 2021، من www.attarikh-alarabi.ma
- بن نبي مالك . (1995). مشكلات الحضارة من أجل التغيير. دمشق: دار الفكر.
- بوشنافة التالية، و جرادى حفصة. (2020). المرأة الجزائرية في المجال العام الافتراضي دراسة تحليلية لأليات الظهور والمشاركة في النقاش العام بالفيديو. مجلة الآسنة للبحوث والدراسات، الجزائر (المجلد 11 العدد1).
- عارف محمد. (1994). الحضارة . الثقافة. المدنية "دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم". الولايات المتحدة الأمريكية: سلسلة المفاهيم والمصطلحات، ط2، المعهد العالي للفكر الاسلامي.
- عباس زهير سعد. (2008/2007). ظاهرة العولمة وتأثيراتها في الثقافة العربية. رسالة ماجستير. إشراف الأستاذ: سويم الغزي، الأكاديمية العربية المفتوحة في الدانمرك، كلية القانون والسياسة.
- كرمة الشريف. (2010). اللغة العربية وعلاقتها بالهوية. تم الاسترداد من تاريخ الاسترداد 09 22 2021، من موقع www.annales.univ-mosta.dz
- لطفي عيسى. (1994). مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر. تونس: سراس للنشر.
- ليلى جزار. (2013). الفيس بوك والشباب العربي. الكويت: دار الفلاح.

المرأة وإشكالية بناء الهوية الرقمية في الفضاء الافتراضي-مقاربة سوسيوثقافية في بناء الهوية الرقمية للمرأة الجزائرية-

- متولي عبد الله حسين. (2016). إشكالية الهوية داخل الحياة الثاني وانعكاسها على خدمات المكتبات الافتراضية. تم الاسترداد من تاريخ الاسترداد 29 جانفي، 2020، من <http://bla.naseej.com/2013/03/05/%D8%A7%D9%C4%D8%a7%D9%81%D>
- مرتض عبد المالك. (1972). أصالة الشخصية الجزائرية.
- مولاي احمد . (2013/2012). ملامح الهوية في السينما الجزائرية. الجزائر. بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، جامعة وهران، قسم الفنون الدرامية، إشراف: بن ذهبية بن نكاح.
- نومار مريم نريمان. (2021). الدراما الاجتماعية والمرأة في الفضاء الافتراضي: دراسة في تمثيلات الذات عبر مواقع الشبكات الاجتماعية (المجلد ط1). عمان: الآن ناشرون وموزعون.

ثانيا : باللغة الاجنبية

1. Gianna, L. (1998). Pick a Gender and Get Back to Us" How Cyberspace Affects Who We Are. Récupéré sur http://www.fragment.nl/mirror/various/lapin_G.1998.pick_a_gender_and_get_back_to_us : le ; 16 April 2020
2. Justin, L. (2012). *Facebook Marketing Leveraging Facebook Features for Your Marketing Campaigns*. America : United States of America.
3. Mallan K, M. (2009). *look at me! look at me! Self-representation and self-exposure through online networks* (Vol. 1). Digital Culture and Education.
4. Margaret, M. (2001). *Sex and temperament in three primitive societies*. London : Harper Collins Publishers.
5. Martinson, A., & Susan C, H. (2004). *Assessing gender authenticity in computer-mediated language use : Evidence From an Identity Game*.